سينما

«لا يزال هناك غدٌ»

تأمّل سينمائي في حال المرأة الإيطالية

تُقارب الإيطالية باولا كورتيليزي السينما الواقعية في بلدها، محاولة ابتكار جديد في الصورة والكتابة والمعالجة والاشتغالات الفنية

قيس قاسم

تُنجر الممثلة والمخرجة الإيطالية باولا كورتيليزي، في «لا يزال هناك غدٌ» (2023)، إغواء مقاربة الواقع الإيطالي، بالأسلوب السينمائي الخاص الذي عُرفت به سينما بلدها، وأوصلها في النهاية إلى تأسيس مدرستها: الواقعية الإيطالية الجديدة. الاختيار، بما ينطوي عليه من مغامرة، ليس مشكلة، فالمشكلة الحقيقية تكمن في تطبيقه، وفي الحفاظ على روح أسلوبٍ سينمائي وجماليّاته، تشبه (الروح) إيطاليا نفسها، التي تجمع بين الفوضى والإبداع الخلّاق في آنٍ واحد. الأسود والأبيض يقاربان زمناً مَاضياً، وأحداثه تجري في مدينة روما، عشية نهاية الحرب العالمية الثانية. المشهد العام للمدينة كئيب. يغمر سكّانها إحساسٌ بنهاية عهد من تاريخها السياسي .العسكري، وحواجز الجيش الأميركي في شوارعها الرئيسية تُكرّسه.

يجعل النصُّ (سيناريو فوريو أندريوتي وجوليا كالييندا، بمشاركة كورتيليزي) المناخَ العام إطاراً تتوسّطه قصص من الحياة اليومية، أكثر ما يهتمّ بها ويشتغل على تقليصها في حدود قصة ديليا (تؤدّي كورتيليزي نفسها الدورَ ببراعة لافتة للانتباه): امرأة تستيقظ صباحاً، وتعدّ الفطور لأطفالها وزوجها، وتعتني بوالده المريض. بعد ذلك، تُسرع إلى عملها (مساعدة ممرّضة)، وتكسب مالاً إضافياً من حياكة الملابس وتصليح المظلاّت وغسل الملابس ونشرها. من بيتها، تظهر تأثيرات الخارج على سلوك زوجها إيفانو (فالِريو ماستاندريا)، الكسول والعنيف، الذي لا يرى في زوجته إلا امرأةً فاشلة وغير قادرة على إنجاز أي عمل منزلي، مهما كان بسيطاً. وبإحساس ذكوري عالٍ لديه، يُقابل أي ردّ فعل منها على تصرّفاته بتعنيف جسدي ولفظي أمام أطفالها الثلاثة، وعلى مسمع جيرانها. لإبراز موهبتها الإخراجية في فيلمها الأول، وللتميّز عن صُنّاع مرحلة الواقعية الإيطالية الكبار، تضفي كورتيليزي، على غير المتوقّع، عنصراً كوميدياً ساخراً على مسارات حياة بطلتها المُعنّفة، جسدياً ونفسياً. كلّ مشهد تعنيف يتبعه آخر متخيّل، يظهر فيه الزوجان يتراقصان على أنغام الموسيقى، ويُغنّيان أغاني رومانسية جميلة، تتداخل مع ألحان «هيب هوب» معاصرة، ومع أغان رومانسية كلاسيكية، تتناقض كلماتها مع الفعل العنيف، الصادم ببشاعته. بهذا الأسلوب، المتحقّق بفضل موسيقى تصويرية للمؤلّف. الملحّن لِل ماركيتيلّي، تُكسَر حدّة سردٍ لا يُراد له البقاء أسير مقاربة تقليدية لمرحلة معقّدة من تاريخ إيطاليا، وجدت المرأةُ نفسَها فيها ضحية ثقافة ذكورية، وتبعات حرب خاسرة أفقرت الناس، وضاعفت سوء أحوال النساء. الفراغ العاطفي، الذي تعانيه ديليا، يُكسَر بعلاقة عابرة غير مكتملة مع جندي أميركي أسود، يقف عند الحاجز القريب من منزلها. اللغة تعيق تواصلهما، لكنْ هناك ما يشي بأنّ شجاعة التخلّص من وحشية الزوج كامنة فيها، وتُغذّى بتآزر نسوي يوحي بأنّ أمراً سيحدث، لا يعرف أحدٌ ماهيّته وكيفية حدوثه. مهارة الكتابة تعزّز ذاك الإحساس، وتجعل من قصة ابنتها، الصبية مارتشيلاّ (رومانا ماجيورا فِرْغانو)، مع حبيبها جوليو موريتي (فرانتشيسكو تشينتورامي)، ابن العائلة الميسورة حديثة النعمة، المستفيدة من فساد الساسة، مدخلاً إليه. طالما رأت الصبية في صبر والدتها على جور والدها ضعفاً فيها، لا تريد تكراره مع حبيبها. ترتيبات زواجها تفضح تعالياً على عائلتها الفقيرة، ومن بعيد تشعر الأم أنّ الزوج المستقبليّ لابنتها لن يكون أفضل من زوجها، فتصرّفاته وغطرسته تشي بالميول الذكورية السائدة نفسها.

> عنصرٌ كوميديٌّ ساخرٌ في سردٍ مسار حياة امرأة معنَّفة

بدهاء وذكاء، تفسد الأم مشروع الزواج، ومن دون تردّد، تعيد علاقتها بحبيبها الأول، وتقرّر الهروب معه إلى الشمال الإيطالي الغني والواعد بازدهار مُنتظر، بعد خراب طويل. مرة أخرى، تكسر كورتيليزي المتوقّع، وتذهب به إلى مسار آخر، يعيد للتاريخ حضوره. لم يكن هدف خروج المرأة سرّاً من بيتها الذهاب مع حبيبها، بل توجّهاً إلى صناديق الاقتراع. وسط جموع النساء، تنحشر الزوجة وتحتمي بقوّة الوسط المنتمية إليه. في ذلك العام (1946)، تكسب الإيطالية حقّ التصويت، وتنجح في إيصال من تريده من السياسيين إلى الحكم.

هكذا تُنهي كورتيليزي مسار «لا يزال هناك غدٌ»، المذهل في كتابته المتأمّلة في حال المرأة الإيطالية، باشتغال سينمائيّ، كلّ لقطة فيه تقطر حلاوةً، إلى درجة يبدو فيها أنّ طموحها في الاقتراب عبرها من كبار صُنّاع المدرسة الواقعية الإيطالية الجديدة ليس وهماً، بل استعادة وتذكير بإنجازاتهم، وبالموروث السينمائي الذي تركوه مُشرعاً أمام الراغبين في الانتماء إليه، من موهوبين ومُلّمين بأفكار مدرستهم السينمائية، التي عبّرت بإخلاص عن مفهوم سياسي . اجتماعي نادر، يُجسّد فوضى الحياة الإيطالية بتنويعات سردية مذهلة، ويُجلي في الوقت نفسه قوّة الإبداع الكامنة فيها.

«لا يزال هناك غدٌ»: أسلوب سينمائي خاص (الملف الصحافي)

«حرب أهلية» بين أشقاء أميركيين

دراما خشنة ومزعجة واستفزازية ومثيرة للجدل

محمد صبحي

ليس كلّ شيءٍ كما يبدو للوهلة الأولى، حين يتعلّق الأمر بـ«حرب أهلية»، جديد البريطاني ألكس غارلاند. فالمقاطع الترويجية، والمقالات الدعائية والصحافية قبل إطلاق عروضه في الولايات المتحدة الأميركية (حيث تصدّر شبّاك التذاكر في أول أسبوعين من عروضه التجارية، مُحقّقاً أفضل انطلاقة في الصالات في تاريخ إنتاجات شركة «A24»، النجم الصاعد في المشهد السينمائي الأميركي)، تشير إلى أنّه فيلم حرب بامتياز، مع مشاهد كثيرة من الأكشن والهروب والصراخ والانفجارات. لكنّ الفيلم شيء آخر تماماً. صحيح أنّ أحداثه مواجهات مُسلّحة، وحالة شذوذ سياسي تام؛ لكنّ جوهره يتناول البقاء والتأمّل، وغياب الأخلاقيات المطمئنة، وبراعة سمعية وبصرية وظيفية ومتماسكة مع المسار الطويل والمتعرّج، وغير المتوقّع، الذي سلكه ثلاثة مُصوّرين صحافيين مخضرمين، ومُتدرّبة شابّة، بينما ينهار العالم، أو الولايات المتحدة بحسب هوليوود. اختيار مهنة الشخصيات ليس عرضياً، لأنّه يُتيح أمرين: يسمح لهم، ومعهم المشاهدون، بالوصول المباشر والمميّز إلى الأماكن والشخصيات التي لا يمكن الوصول إليها لو كانوا مواطنين عاديين أو هائجين؛ كما يمكنهم مراقبة الأحداث باهتمام ونظرة معتدلة، مُجرّدين من المصالح الذاتيّة، حتى عندما يصبحون ضحايا مباشرين لما يحدث. فالبلد، المنخرط في حرب داخلية، بلدهم، الحامل علمه بعصا أفقيّةٌ ونجوم. ورغم أنّ هذا السيناريو غير مُحتمل على المدى القصير، إلا أنّه يحمل بصمة معقولة تجعله مخيفاً. لا يوجد هنا أي استحضار لتجارب علمية منفلتة، كما في الفيلم القيامي «بعد 28 يوماً» (2002) لداني بويل، الذي كتب غارلاند نفسه نصّه السينمائي. كما لا يوجد عامل خارجي يعمل محفّزاً (مسلمون، روس، أو غيرهم)، إذ إنّ مستقبلاً أميركياً قريباً يشبه حاضر البلد، المنقسم إلى حدٍ كبير، بخصوصياته المتفاقمة، التي لا تشبه المبالغات المفارقة التي تليق بما بعد نهاية العالم. في مستقبل غير بعيد الشابّة جيسي (كايلي سباييني). لكنّ مشهد المباني المتهدّمة، والمتاجر المنهوبة، والشوارع المليئة ببقايا السيارات المهجورة أو المحترقة، يشير إلى أنّ الأمر لم يبدأ أمس.

النقطة المهمة أنّ لي سميث تُجنّب جيسي موتاً مُحقّقاً، وجيسي مُعجبةً بعمل منقذتها. في ظلّ هذه الخلفية القاتمة (المليئة بمواقف عنيفة ووحشية)، ينطلق الصحافيون الأربعة في شاحنة من نيويورك إلى العاصمة، في طريق تأخذهم عبر بنسلفانيا وفرجينيا الغربية، وصولاً إلى شارلوتسفيل، إحدى جبهات القتال. الرباعي متنوّع ورافد للأحداث: سامي يعاني السُمنة، ويمثّل ما يشبه الأبّ والمعلّم؛ ومُحترِفان اثنان متمرّسان وذوا خبرة (لي سميث وجويل)؛ وجيني مُبتدئة لا تتمتع بالخبرة، بقدر ما أنّها جريئة وغير مسؤولة. رحلتهم أقرب إلى فيلم طريق، تُقطع فيه مئات عدّة من الكيلومترات بالسيارة. تقترح كلّ محطة جديدة وغير طوعية مواقف متطرفة، يواجهونها ويتغلّبون عليها معاً. غالباً تكون المواقف العنيفة، التي يُصوّرها غارلارد، هكذا: لهجة سلمية مزعجة، من دون حدّة، أو موقف سياسي محدّد. لا أخيار وأشرار هنا، وإذا كان هناك تصنيف كهذا، فهما وجهان لعملة واحدة. في النهاية، هم مخلوقات منخرطة في حربٍ بين أشقاء، لن يخرج أحدٌ منها سالماً.

معطيات وأسلوب تفسّر كيف نجح غارلاند بإخراج أغلى فيلم في تاريخ شركة «A24» (50 مليون دولار أميركي)، مُحقّقاً إنجازاً تجارياً للشركة المستقلّة، ومُقدّماً في الوقت نفسه دراما خشنة ومزعجة واستفزازية ومثيرة للجدل (لم تعد كذلك الآن)، تأخذ الصراع المسلّح الدموي إلى أحشاء المجتمع الأميركي. الأهم كيفية تحقيقه ذلك في فيلم كاسح وغامر ومتفجّر دائماً، بالمعنيين الحرفي والمجازي (يشبه جلب حرب البلقان أو حرب غزة إلى الأراضي الأميركية نفسها)، عبر سردية بعيدة عن أي ديماغوجيا، أو تنازلات توفيقية.

لهذا السبب تحديداً، يمتلك الفيلم قيمة، في زمن السينما المُعدّة مسبقاً، والملتزمة قواعد الصواب السياسي.

«حرب أهلية»: صحافة بين العسكر (الملف الصحافي)

> فيلمٌ عن البقاء والتأمّل وغياب الأخلاقيات المطمئنة

ومعروف تماماً، كما لو أنّ مراكمة أعمال الشغب في شوارع لوس أنجليس، والقتل المجاني العشوائي بالأسلحة، واقتحام الكابيتول في 6 يناير/كانون الثاني 2021، أفضت إلى انقلاب على السلطة الحاكمة؛ إذاً، في هذا المستقبل، هناك المرحلة الأخيرة من الحرب الأهلية، التي تتقدّم فيها قوّات متمرّدة بطريقة كاسحة نحو واشنطن العاصمة، حيث يتصدّى لها الرئيس (نيك أوفرمان) مع قوات قليلة موالية له. إذا كانت الطريقة المعتادة لبدء هذا النوع من القصص الاستعانةَ بصُور نشرات إخبارية تُقدّم ملخّصاً لما حدث، فإنّ غارلاند يفعل ذلك مع رئيس الولايات المتحدة نفسه (الآن بات في ولايته الثالثة، ويرفض التخلّي عن الحكم كما ينصّ الدستور)، معلناً تصعيد الصراع الناتج من حركة انفصالية ناجحة لتحالفٍ يضمّ ولايتي كاليفورنيا وتكساس، وهما من أهمّ الولايات التي تقع تاريخياً على طرفي نقيض أيديولوجي، فإحداهما ديمقراطية و«تقدّمية»، والأخرى محافظة للغاية. المؤكّد هنا أنّهما أنشأ «القوات الغربية»، وأعلنا عصياناً على تنفيذ أوامر البيت الأبيض.

لا دقّة زمنية لمدة هذه الحرب الأهلية الأميركية الثانية. تظهر مُصوّرة «رويترز» الشهيرة لي سميث (كيرستن دانست)، والصحافي جويل (فاغنر مورا) وزميلهما المخضرم سامي (ستيفن ماكينلي هندرسون) من «نيويورك تايمز»، أثناء تغطيتهم احتجاج/معركة شوارع في بروكلين، ثم يتقاطع مسارهم مع

أفلام جديدة

■ Romantik Hirsiz، أو Le Coeur Au Vol لريكاي كاراغوز، تمثيل إيسرا بيلْجيك (WireImage) وبُريكان سوكولّو وأوشان شاكير: بعد اكتشافها أنّ لصّاً متخصّصاً بسرقة الأعمال الفنية، تلاحقه بلا هوادة، هو عشيق سابق لها، يكلّف مسؤولٌ كبيرٌ في الإنتربول ألين تنفيذ خطة للقبض عليه متلبساً، تتمثّل بإعادتها العلاقة باللص، المغرم بها إلى الآن، للإيقاع به في إحدى أكبر عملياته اللصوصية.

■ Bosco لنيكولاس مانويل بينو، تمثيل أوبراي جوزف ونيكّي بلونسكي (FilmMagic) براندن روجرز وتيو روسّي: إنّها القصّة الحقيقية لكواونتاي «بوسكو» آدامز، الذي يُحكم عليه بالسجن 35 عاماً، سنة 2004، بتهمة حيازته ماريغوانا، والذي يُنفّذ عملية هروب مذهل من السجن سنة 2006، بمساعدة امرأة التقاها عبر ما يُعرف بـ«إعلان القلوب الوحيدة». مزيجٌ من تشويق ومطاردة ومحاكمة، بنوع من الحبّ والصداقة والمشاعر.

■ L'Amour Au Pied Du Mur لباتريسيا فونت (Getty)، تمثيل أيتانا وفرناندو غالّار وميغل آنجيل مونوز: فالنتينا عازفة بيانو، تمرّ في مرحلة صعبة، بسبب استعدادها لاختبار مهمّ. أمّا ديفيد، فمخترع لا يمكنه التركيز في عمله وأبحاثه إلّا في مناخ صامت بشكلٍ تام. يفصل جدار رقيق بينهما، وهما يحاولان أنْ يعيش أحدهما مع الآخر في وئام. هذا صعبٌ، والضغوط تتزايد، والمسار الحياتي اليومي لكلّ واحدٍ منهما مليء بتحدّياتٍ.

■ Idylle Aux Canaries لجي دي ألكازار، تمثيل ناتاليا رودريغز (فيسبوك) وميغيل ديوسْدادو وماريا ماروتو: خوسي يعتبر ديفيد رجل حياته. عندما ينفصل الأخير عنه فجأة، بعد ثمانية أعوام من عيشٍ مشترك بينهما، يصعب على خوسي تقبّل الانفصال، ويستعيد ذكريات قديمة. يمرّ عام، قبل لقاءٍ بينهما في جزر الكناري في محاولة أخيرة لترتيب أمور صداقةٍ جميلة يريدانها، رغم أنّ هذا غير سهلٍ البتّة.

■ Beautiful Wedding لروجر كومْبل، تمثيل ديلان سْبروس وفرجينيا غاردنر (WireImage) وأوستن نورث: بعد ليلة صاخبة يمضيانها في لاس فيغاس، يستيقظ الثنائي آبي وترافيس كـ«عروسين» متزوّجين حديثاً، بالصدفة، ثم يتوجّهان إلى المكسيك لتمضية شهر العسل. عليهما، بعد ذلك، أنْ يُقرّرا ما إذا كان كلّ واحدٍ منهما ملائماً للآخر، أو أنّ هذا الزواج كارثة.